

# وصف الحرمين الشريفين في أوائل القرن الرابع الهجري

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٧هـ)

إعداد: الشيخ حسين الوائلي

تمهيد:

كان من أهم كتب المختارات والمحاضرات «العقد الفريد» لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب القرطبي الأندلسي، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي. ولد سنة ٢٤٦هـ ونشأ بقرطبة وتثقف ثقافة عصره، وظهرت ثقافته الدينية والأدبية في كتابه المشهور الذائع الصيت.

لازم الأمير عبد الله الذي تولى عرش قرطبة سنة ٢٧٥هـ ونادمه زمناً وبعده لازم عبد الرحمن الناصر ومدحه، إلى أن توفي ابن عبد ربه بالفالج سنة ٣٢٧هـ.

بما أن وصف الحرمين المباركين في كتب القدماء كان من الطرائف النادرة، استلنا من هذا الكتاب القديم القيم ما كتبه في التعريف بالحرمين الشريفين. وكان اعتمادنا



## صفة المسجد الحرام:

صحنه كبير واسع، ذرعه طولاً من باب بني جُمح إلى باب بني هاشم الذي يقابل دار العباس بن عبدالمطلب أربعمائة ذراع وأربع أذرع. وذرعه عرضاً من باب الصفا إلى دار الندوة لاصقاً بوجه الكعبة الشرقي ثلثمائة ذراع وأربع أذرع. وله ثلاث بلاطات مُحْدَقَة به من جهاته كلّها، منتظم بعضها ببعض. وهي داخلة في الذرع الذي ذكرت، فوقها سماوتها مذهبة وحافاتها على عمَد رُخام بيض عددها في طوله من الشرق إلى الغرب مع وجه الصحن خمسون عموداً، وفي عرضه ثلاثون عموداً، بين كلّ عمودين مثل عشر أذرع.

وجملة عمد المسجد أربعمائة وأربعة وثلاثون عموداً، طول كلّ عمود منها عشر أذرع ودوره ثلاث أذرع. والمذهّبة من رؤوس العمد ثلثمائة وعشرون رأساً. وسور المسجد كلّ من داخله مزخرف بالفسيفساء. وأبوابه على عمَد رخام ما بين الأربعة إلى الثلاثة إلى الاثنين، وهي ثلاثة وعشرون باباً لا غلّق عليها، يصعد عليها في عدّة من درج

### صفة الكعبة:

وبيت الله الحرام بوسط المسجد، كان ارتفاعه في عهد إبراهيم عليه السلام فيما يقال والله أعلم تسع أذرع، وطوله في الأرض ثلاثون ذراعاً، وعرضه اثنتان وعشرون ذراعاً. وكان له ثلاثة سُقُوف ثم بنته قريش في الجاهلية فاقتصرت على قواعد إبراهيم ورفعته ثمان عشرة ذراعاً، ونقصت من طوله في الأرض ستّ أذرع وشبراً تركته في الحجر، فلمّا



هدمه ابن الزبير ردّه على قواعد إبراهيم ورفعها سبعمائة وعشرين ذراعاً، وفتح له بابين: باباً إلى الشرق وباباً إلى الغرب يدخل من الشرقي ويخرج من الغربي، فكان كذلك حتى قتل. فلما تغلب الحجاج على مكة استأذن عبد الملك بن مروان في هدم ما كان ابن الزبير زاده من الحجر في الكعبة، فأذن له فردّه على قواعد قريش، وسدّ الباب الغربي ولم ينقص من ارتفاعه شيئاً.

### ذرع البيت:

فذرع وجهه القبلي اليوم من الركن الأسود إلى الركن اليماني عشرون ذراعاً ووجهه الجنوبي من الركن العراقي إلى الركن الشامي، وهو الذي يلي الحجر إحدى وعشرون ذراعاً. ووجهه الشرقي من الركن الأسود إلى الركن العراقي خمس وعشرون ذراعاً. ووجهه الغربي من الركن اليماني إلى الركن الشامي خمس وعشرون ذراعاً.

### الدرجة المخصّصة:

وحول البيت كلّه إلا موضع الركن الأسود درجة مخصّصة، يكون ارتفاعها عظم الذراع في عرض مثله، وقاية للبيت من السيل.

### باب البيت:

وباب البيت في وجهه الشرقي على قدر القامة من الأرض، طوله ستّ أذرع وعشر أصابع، وعرضه ثلاث أذرع وثمان عشرة إصبغاً. والبابان من ساج، غلظ كلّ باب ثلاث أصابع، ظاهرهما ملبّس بالذهب وباطنهما بالفضّة في كلّ باب ستّ عوارض، ولها عروتان يُضرب فيهما قفل من ذهب، وحواجبه كلّها مذهّبة ما عدا الحاجب الأيمن، فإن العلوّوي الثائر لما تغلب على مكة قلع ذهبه، فترك على حاله. وتحت العتبة العليا عتبة مذهّبة والبابان من ورائهما، والعتبة السفلى مستورة بالديباج إلى الأرض.



## الملتزم:

وبين الركن الأسود والباب خمس أذرع أو نحوها، وهو الملتزم فيما يذكر عن ابن عباس .

## الحجر الأسود:

والحجر الأسود على رأس صخرتين من وجه الأرض قد نحت من الصخر مقدار ما أدخل فيه الحجر وشُقَّت الصخرة الثالثة عليهما مثل إصبعين. والحجر أملس مجزَع حالك السواد في قدر الكفِّ المحنية، قد لُزَّ من جوانبه بمسامير الفضة. وفيه صدوع،<sup>١</sup> وفي جانب منه صفيحة فضة تحسبها شظية منه شطيت فجُبرت بها. وصخر الركن الأسود أحرش أكبر من صخرنا قليلاً.

## سقفا البيت وروازنه:

ولبيت سقفاً سقف دون سقف، وفيهما أربع روازن،<sup>٢</sup> ينفذ بعضها إلى بعض للضوء، وللسقف الأسفل ثلاث جوائز من ساج منقشة مذهَّبة. وفي داخل البيت في الحائط الغربي قبالة الباب الجزعة على ستّ أذرع من قاع البيت وهي سوداء مخططة بياض، طولها اثنتا عشرة إصبعاً في مثل ذلك، وحولها طوق من ذهب عرضُه ثلاث أصابع. ذكر أن النبي ﷺ جعلها على حاجبه الأيمن حين صلّى في البيت.

## الحجر:

والحجر بجوف البيت محجور من الركن العراقي إلى الركن الشامي تحجيراً مخنياً غير

١. ن: «صدع».

٢. الروازن: جمع روزنة، بالفتح، وهي الكوة والنافذة.



مرتفع، قد انقطع طرفاه دون الركنين اللذين يليانه بمثل ذراعين للدخول والخروج، يكون ما بين مُوسطة جنبي التحجير والبيت كما بين الركنين، وارتفاع التحجير مثل نصف قامته، وهو ملبس بالرخام من داخله وخارجه وأعلاه، وجعل بين كل رخامتين عمود من رصاص لزازأهما، وقاع الحجر كله مفروش بالرخام، ومصّب الميزاب فيه وقلبتنا إليه<sup>١</sup>.

### الميزاب:

والميزاب مُوسطة أعلى جدار الكعبة خارجاً عنه مثل أربع أذرع في سعته، وارتفاع حيطانه ثمان أصابع، ملبس ظاهره وباطنه بصفائح الذهب، والصفائح مسمّرة بمسامير مروّسة من ذهب.

### كسوة الكعبة:

والبيت كله مستور إلا الركن الأسود، فإن الأستار تُفرج عنه مثل القامة ونصف، وإذا دنا وقت الموسم كُبي القباطي، وهو ديباج أبيض خراساني، فيكون بتلك الكسوة ما كان للناس مُحرمين. فإذا حلّ الناس وذلك يوم النحر حلّ البيت فكسي الديباج الأحمر الخراساني. وفيه دارات مكتوبة فيها حمد الله وتسيحه وتكبيره وتعظيمه، فيكون كذلك إلى العام القابل. ثم يكسى أيضاً على حال ما وصفت. فإذا كثرت الكسوة فخشي على البيت من ثقلها خُفف منها، فأخذ ذلك سدنة البيت وهم بنو شيبه. وذكر بعض المصريين أنه حضر كشف البيت سنة خمس وستين فرأى بلاطه الزعفران واللوان.

### الحجر الأسود:

وذكر أيضاً عن بعض المكّيين حديثاً يرفعونه إلى مشايخهم، أنهم نظروا إلى الحجر

١. أي: قبلة قرطبة إلى حجر إسماعيل.



الأسود إذ هدم ابن الزبير البيت وزاد فيه، فقدروا طولَه ثلاث أذرع، وهو ناصع البياض فيما ذكروا إلا وجهه الظاهر، واسوداده فيما ذكروا - والله أعلم - لاستلام أهل الجاهلية إيَّاه ولطخه بالدم.

### مقام إبراهيم عليه السلام:

والمقام شرقي البيت على سبع وعشرين ذراعاً منه، وجه المصلي خلفه مستقبيل البيت إلى الغرب، والركن العراقي على يمينه، والباب والركن الأسود على يساره، وهو فيما ذكر من رآه حجر غير مرفوع يكون ذراعاً في ذراع، وفيه أثر قدم إبراهيم عليه السلام وطول القدم مثل عظم الذراع. والحجر موضوع على منبر لئلا يمر به السيل، فإذا كان وقت الموسم وضع عليه تابوت حديد مثقّب لئلا تناله الأيدي.

### سوار حول البيت:

وحول البيت كلّ سوارٍ ستّ غلاظٍ مربّعة من حديد مذهب ورؤوسها مذهبة أيضاً، يوقد عليها بالليل للطائفين، بين كلّ عمودٍ منها والبيت نحو ما بين المقام والبيت.

### زمزم:

وزمزم شرقي الركن الأسود بينها مثل الثلاثين ذراعاً، وهي بئر واسعة تُنورها من حجر،<sup>١</sup> مطوق أعلاه بالخشب وسقفها قبو مزخرف بالفسيفساء على أربعة أركان، تحت كلّ ركن منها عموداً رخام متلاصقان، قد سدّ ما بين كلّ ركنين منها بشرجب خشب، ورُد إلى باب من جهة المشرق. وحول القبو كلّ رفّ مثل البرطلة،<sup>٢</sup>

١ . في اللسان: «وكّل مفجر ماء تنور». ن: «من صخر».

٢ . البرطلة: المظلة، ولامه مخففة وقد تشدد.



وبشرقي زمزم بيت مقدّر سقفه قبو مُزخرف بالفُسيفساء أيضاً مقفل عليه،  
وشرقيّ هذا البيت بيت كبير مربع له ثلاثة أقباء، وفي كلّ وجه منه باب.

### حمام المسجد:

وحمام المسجد كثير أنيس، يكاد الإنسان أن يطأه بقدمه لأنسه بالناس، وهو في لون حمام الأبرجة عندنا إلا أنه أقدر منه، وليس منها حمامة تجلس على البيت ولا تطير عليه. ولقد همّني ذلك فرأيتها حين تكاد أن تحاذي البيت، وهي مُستعلية في طيرانها ذلك عكست،<sup>١</sup> حتى تصير دونه، وأخذت عن يمينه أو يساره، وذرقها ظاهر بارز على البيوت التي في المسجد إلا بيت الله الحرام فإنه نقيّ ليس فيه ولا عليه منه أثر، فسبحان معظّمه ومقدّسه ومطهّره وتعالى علوّاً كبيراً.

### الصفاء:

وبين باب الصفا - وهو قبليّ البيت - والصفاء الشارع وهو بطن الوادي، وبعد الشارع فناء غير كبير فيه الباعة، ثمّ الصفاء في أصل جبل أبي قبيس قد أحدق بها البناء إلا من الوجه الذي يرقى إليها منه، والرقىّ إليها على ثلاث درج مبنية بالصخر. والواقف على الصفا مستقبل الجوف ينظر إلى البيت من باب الصفا.

### المروة:

والمروة بشرقيّ المسجد وهي من الصفابين المشرق والمغرب، قد أحدق بها البناء أيضاً إلا من وجه المصعد إليها، وهو من أعلى القصور، بينها وبين المسجد الحرام الزقاق الضيق، فالواقف على المروة مُستقبل البيت تجاه الفرجة يرى الميزاب وما اتصل به من البيت، وبين الصفا والمروة شبيه بما بين السّقاية والمسجد الجامع.

١ . في بعض النسخ: «غطست».



والساعي بينهما إذا هبط من الصفا يريد المروة سلك في الشارع وهو بطن الوادي، عن يمينه القصور، وعن يساره المسجد، ثمّ يتعرضه بطن وادٍ انصبّت قدماء فيه أرقلّ حتى يخرج عن آخره،<sup>١</sup> وله علمان أخضران في جانبي الوادي، أحدهما وهو الأول خلف باب الصفا لاصقاً بالسور، والثاني أمامه بائن عن السور، جعلاً ليفهم بهما حدّ الوادي الذي يُرمل فيه.

### منى والجمرات:

ومنى قرية شرقيّ مكة تنحو إلى القبلة قليلاً، خارجة عن الحرم على نحو الفرسخ منها، وفيها بنيان وسقايات، وأوّل ما يلقي منها الخارج من مكة إليها جَمرة العقبة ثمّ الجمرتين اللّتين تُرميان مع جمرة العقبة بعد يوم النحر أيّام التشريق. وبها مسجد أكبر من جامع قرطبة وهو مسجد الخيف، له ممالي المحراب أربع بلاطات معترضة، سقفها من جرائد النخل، وعمدها مجصّصة، والمنبر عن يسار المحراب والباب الذي يخرج منه الإمام عن يمينه، وفي مُوسطة صحن المسجد منارة، وفي كلّ جانب منها سقيفة.

### المزدلفة:

والمزدلفة وهي المشعر الحرام بين منى وعرفة، وهي من منى على نحو الميلين، ولها مسجد مُصحّر لا بناء فيه إلاّ الحائط الذي فيه المحراب، وليس بها ساكن.

### عرفة:

وعرفة شرقيّ منى على نحو الفرسخين منها، ليس بها ساكن ولا بناء إلاّ سقايات وقنوات يجري فيها الماء، وليس بمسجدها بنيان إلاّ الحائط الذي فيه المحراب.

١. أرقل: أسرع. ن «حتى يخرج عنه».



وموقف الناس يوم عرفة بعرفة في الجبل وما يليه ممّا تحته، والجبل بين المشرق والجنوف من مسجدها، وفي الموضوع الذي يقف فيه الإمام،<sup>١</sup> ماء جارٍ، ومحراب منى وعرفة والمزدلفة إلى نحو المغرب.

## صفة مسجد النبي ﷺ

بلاطاته في قبلته معترضة من المشرق إلى المغرب، في كلّ صفّ من صفوف عمدها سبعة عشر عموداً، ما بين كلّ عمودين منها فجوة كبيرة واسعة، والعمد التي في البلاطات القبلية بيض مخصّصة شاطئة جداً،<sup>٢</sup> وسائر عمد المسجد رخام، والعمد المخصّصة على قواعد عظيمة مربعة ورؤوسها مذهبة عليها نجف،<sup>٣</sup> منقّشة مذهبة، ثم السموات على النجف وهي أيضاً منقّشة مذهبة. وقبالة المحراب مؤسّطة البلاطات،<sup>٤</sup> بلاط مذهب كلّ شقت به البلاطات من الصحن إلى أن ينتهي إلى البلاط الذي بالمحراب ولا يشقّه، وفي البلاط الذي يلي المحراب تذهيب كثير، وفي مؤسّطته سماء كالترس المقدر مجوف كالمحار،<sup>٥</sup> مذهب، وقد أخذ وجه السور القبلي من داخل المسجد بإزار رخام من أساسه إلى قدر القامة منه، وكفّ على الإزار بطوق رخام في غلظ الإصبع، ثمّ من فوقه إزار دونه في العرض مخلّق بالخلوق، ثمّ فوقه إزار مثل الأول، فيه أربعة عشر باباً في صفّ من الشرق إلى الغرب في تقدير كوى المسجد الجامع بقرطبة منقّشة مذهبة، ثمّ فوقه إزار رخام أيضاً فيه صنيفة سماوية فيها خمسة سطور

١. أي: أمير الحجّ.

٢. شاطئة: عالية مرتفعة.

٣. النّجف جمع النّجيف: السهم العريض النصل.

٤. مؤسّطة الشيء، بضمّ الميم وفتح السين: ما كان في وسطه.

٥. المحار: الصدف.



مكتوبة بالذهب بكتاب ثخين، غلظه قدر أصبع من سُور قصار المفصل، ثمّ فوقه إزار رخام مثل الأول الأسفل، فيه ترسّة من ذهب منقشة وبين كل ترسين منها عمود أخضر في حافته قضبان من ذهب، ثم فوقه إزار رخام فيه صنيفة منقشة عرضها مثل عظم الذراع، لها قضبان وأوراق من ذهب ثم فوقه إزار فسيفساء عريض، ثم السهوات عليه. والمحراب في مُوسطة السور القبلي، على قوسه قُصّة من ذهب ناتئة غليظة، في وسطها مرآة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة.

### قبو المحراب:

قبو المحراب مقدر جداً، وفيه دارات بعضها مذهّبة وبعضها حُمْرٌ وسود، وتحت القبو صنيفة ذهب منقشة، تحتها صفائح ذهب مثمّنة، فيها جزعة في مثل جمجمة الصبي الصغير مسمرة، ثم تحتها إلى الأرض إزار رخام مخلّق بالخلوق، فيه الوتد الذي كان النبي ﷺ يتوكأ عليه في المحراب الأول، عند قيامه من السجود فيما ذكر. والله أعلم.

وعن يمين المحراب باب يدخل منه الإمام ويخرج، وعن يساره باب صغير شطرنجيّ قد سُدّ بعوارض من حديد، وبين هذين البابين والمحراب ممشى مسطح لطيف.

### المقصورة:

والمقصورة من السور الغربي لاصقة بالباب إلى الفصيل اللاصق بالسور الشرقي، ومن هذا الفصيل يصعد إلى ظهر المسجد، وهي قديمة مختصرة العمل، لها شرفات وأربعة أبواب، وخارج المقصورة قريباً منها عن يسار المحراب سرب في الأرض يهبط فيه على درج فيفضي منها إلى دار عمر بن الخطاب.



## المنبر:

والمنبر على يمين المحراب في أوّل البلاط الثالث من المحراب في روضة مفروشة بالرخام محجور حولها به. وله درج، وسمر في أعلاه لوح لثلاث يجلس أحد على الدرجة التي كان رسول الله ﷺ يجلس عليها، وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما في منابر زماننا الآن، والجذع أمام المنبر، وبشرقي المنبر تابوت يستر به مقعد رسول الله ﷺ.

## قبر الرسول ﷺ:

وقبره صلوات الله عليه وسلامه بشرقي المسجد في آخر مسقفه القبلي مما يلي الصحن بينه وبين السور الشرقي مثل عشر أذرع، قد حظر حوله بحائط بينه وبين السقف مثل ثلاث أذرع، وله ستّة أركان، ولُبّس بإزار رخام أكثر من قامة، وما فوق الرخام مخلّق بالخلوق.

قال رسول الله ﷺ: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة».

وعلى ظهر المسجد حذاء القبر حجر محجور لثلاث يمشى عليه والبلاطات الجوفية خمسة والغربية أربعة منتظم بعضها ببعض في طولها مع وجه الصحن من القبلة إلى الجوف ثمانية عشر عموداً، وحنايا المسجد كلّها مما يلي الصحن مشدودة من جهاتها الأربع إلى مناكب العمدة من داخله، مزخرفة بخشب منقش، وللمسجد ثلاث منارات، اثنتان في الجوف، وواحدة في الشرق، وحيطان المسجد كلّها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها، وله ثمانية عشر باباً عتبتها مذهبة، وهي أبواب عظيمة لا غلق عليها، أربعة منها في الجوف، وسبعة في الشرق وسبعة في الغرب. وقاع المسجد كلّ مفروش بالحصى وليس له حصر، ووجه سور المسجد



كله من خارج منقش بالكذآن،<sup>١</sup> وكذلك الشرفات.

### آداب من يدخل المسجد:

فينبغي للدخول في المسجد أن يأتي الروضة التي قال فيها رسول الله ﷺ: «إنها روضة من رياض الجنة». فيصلّي فيها ركعتين، ثم يأتي قبر النبي ﷺ من قبل وجهه فيستدبر القبلة ويستقبل القبر، ويسلم عليه عليه ﷺ وعلى أبي بكر وعمر، ولا يلصق بالقبر فإنه من فعل الجهال، وقد كره ذلك فإذا فعل ما ذكر استقبل القبلة ودعا بما أمكنه بعد الصلاة على النبي ﷺ وعرفنا به، ورزقنا شفاعته برحمته، آمين...